زهرة الفنجان

محاولة لتعليم مغاير

نسيم قبها

دائماً تساءلت حول جدوى التعليم التقليدي، ودوماً كان ينقصني الجواب، وذات مرة في جلسة شكّلت انزياحي، سمعت معلماً يسأل سؤال: ما هو الاحتلال؟

الكل بدأ يجيب بفيض من الإجابات المعهودة حول اغتصاب الأرض والمقاومة . . . وغير ذلك، لكن هذا المعلم أجاب، وقال: الاحتلال هو أن تجمع أربعين طالباً بحجة أنهم من منطقة جغرافية واحدة وأعمارهم متقاربة، وتدخل عليهم معلماً أو معلمة في غرفة لها أربعة جدران وسقف تئن باكتظاظ المقاعد، ثم تقول لهم تعلّموا؟!

إذاً، هي ضربة لمفهوم التعليم التقليدي بما يحمله من زركشات لا تنطلي على كل ذي حس مرهف، وكان هذا دافعنا للبحث عن التعليم المغاير، عن التعليم الذي يبدأ من الحياة ويغوص فيها ليكون له معنى، تعليم لا يصقل المدرسة بوظيفة التحفيظ للطالب، والابتعاد عن التعليم كتعليم، تعليم يعمل على تكامل المواد مع بعضها، لتجعل من الطالب عنصراً فاعلاً في المجتمع الذي يعيش فيه، تعليم لا يؤمن بالتخصص بقدر ما يؤمن بالتكامل.

المعظم منا يعلم أن «الموناليزا» هي رسمة للرسام الايطالي ليوناردو دافنشي، ولكن كم منا يعلم أن دافنشي كان عالم رياضيات مخضرم؟ عالم في الرياضيات يرسم لوحة لا تنسى! وكأنه يقول بتكامل الفن مع الرياضيات حتى لا نتعامل مع الرياضيات كرموز تنفر الطالب منذ صغره من المادة، لم نتوجه في التعليم لربطه بالحياة التي نعيشها، لم نحرر الطالب من فكرة أن التعليم ليس للاختبار وحسب؟!

من هنا تولدت لدنا فكرة التعليم خارج حجرة الصف ضمن مادة الأحياء، وتكاملها مع الاجتماعيات، واللغة العربية، والرياضيات . . . بحصة لا تقاس بالدقائق، وضمن مشروع تعليمي (زهرة الفنجان)، مشروع أبدع فيه الطلاب لأنهم مبدعون، تعليم يعطي حيزاً لكل طالب مهما كانت طاقته، تعليم مرتبط بالحياة فعلاً،

تعليم يرسخ في الأدمغة لأنه يجعل من الطالب حامل مسؤولية المعلومة التي يستقصيها بعد حوار وجدل، تعليم يحمل فضاءات يانعة تجعل من التعليم محبب للطالب ولا يجعل الطالب مكرهاً؟! وعلى كل الأحوال هي تجربة رائدة قام بتقييمها الطلاب أنفسهم، ووثقوا انطباعاتهم حول روعة التعليم المغاير، والابتعاد عن ضغط الروتين وفلسفة التقييم البليدة، هي محاولة في طريق يحتاج لمعاول مرهفة لإزالة صخور صماء معيقة لنشر الإبداع وجعل التعليم أكثر متعة. . . .

إن تتابع المحاولات لإيجاد التغيير سيثمر يوماً ما في إبداع تعليم ذي جدوى من خلال مراعاة حاجات الفرد البيئية والوطنية والتقنية والسلوكية . . . ما يسهم في نهضة المجتمع التواق لنهضة تربوية كهذه، تعمل على استفزاز كافة المجالات في المجتمع لتوازي النهوض، ولا يكون ذلك من غير تعليم يعيد للتعلم روحه، ويجعل المعلم قادراً على العطاء بشكل لا إرادي، ويسهم في صقل شخصيات الطلبة للمواقع كافة التي تتطلبهم.

نسيم قبها
مدرسة ذكور طورة الثانوية